الفصل الرابع

بضع ملامح حول الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي

١. المبحث الأول: أحوال الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي

إذا أمعنا النظر إلى أبيات شعر الإمام الشافعي سندرك أن أبيات شعره تعالج كثرا من ألفاظ الاستعارة. لكن مع ذلك فإن الاستعارة لا يأتي في كل بيت من أبيات شعره بل أنها تكون متنا ثرة في كثيرة من تلك الأبيات ومع ذلك فإنها كانت متنوعة كالاستعارة التصريحية، والاستعارة المكنية، والاستعارة تبعية.

وإليك مثالاً لذلك قول الإمام الشافعي إذا قال في نصائحه العامة:

"ولا تجزع لحادثة الليالي، فما لحوادث الدّنيا بقاء."[١]

قوله "لحادثة الليالي" فيه تشبيه فشبه فيه مصيبة الحياة. بحادثة الليالي بجامع الإصابة المظلمة وعدم القاء في كل، ثمّ استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه فكان هذا من قبيل الاستعارة التصريحية نظرا لأن هذه الاستعار هي ما صارح فيها لفظ المشبه به.[٢]

ثمّ انظر إلى قوله في بيت ض أبيات شعره إذ قال في تلك النصائح العامة:

"دع الأيام تفعل ما تشاء، و طب نفسًا إذا حكم القضاء."[٣]

---

[١] أنظر، ص: ١٠.

[٢] أنظر، ص: ١٧.

[٣] أنظر، ص: ١٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

شبه "الأيام" بإنسان، ثمّ حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "تفعل" على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الفعل للأيام كما هو واضع في الصارة السابقة.[٤]

ومما سبق ندرك مثالاً للاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية وبالتالى بمثال آخر للاستعارة في بيت من أبيات سعره كقوله في حب آل البيت:

"لقد رسخت في الصّدر منّي مودّة، كما رسخت في الرّاحتين الأصابع."[٥]

شبه كيان المودة ولزومها في الصرر برسوخها فيه بجامع الإتصار في كل، ثمّ استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو زسوخ المودة في الصرر للمشبه وهو لزومها فيه ثمّ استق من الرسوخ كلمة فعل وهي رسخت على سبيل الاستعارة التبعية باعتبار أن هذه الاستعارة هي ما كان المستعار أو اللفظ الدال جرت فيه الاستعارة اسما مستقا أو فعلا.[٦]

ثمّ انظر إلى قوله في أهيمة طلب العلم:

"أتنزح بالركاء عميق بحر، فما تغني الرّكاء عن العميق."[٧]

شبه حال العلم ملازمة أصحابه من العلماء بحال الركاء في عدم إنتزاحها عن البحر العميق بجامع عدم الافتراق والانفصال في كل، ثمّ استعيرت جملة تزح

---

[٤] أنظر، ص: ١٨-١٩.

[٥] أنظر، ص: ١٣.

[٦] أنظر، ص: ٢٤.

[٧] أنظر، ص: ١١.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الركاء عن البحر العميق كلفظ المشبه به المستعار للمشبة على سبيل الاستعارة التمثيلية باعتبار أن هذه الاستعارة ما هي تركيب أو جملة استعمل في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي مع قرينة ما نعة من ارادة المعنى الأصلي.[٨] ملائم المشبه به وهو ...ما نعة الركاء عن العميق اصبحت الاستعارة مرشحة باعتبار أن هذه الاستعارة هي ماذكر معها ملائم المشبه به أي المستعار منه.[٩]

ومما تقدم ندرك شيئا عن أحوال الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي ومن بينها أن الاستعارة كانت موجودة في أبيات شعره. وهذا لا يعني أن الاستعارة كانت موجودة في كل بيت من تلك الأبيات بل أنها كانت متناثرة في كثير من أبيات الشعر ويكفى مثالا لذلك مارأيناه في أبيات شعره المنظومة في مختلف الموضوعات كالاستعارة التصريحية والمكنية في نصائحه العامة[١٠] والاستعارة التمثيلية والمرشحة في أهيمة طلب العلم، وحب آل بيت، وفي المحاسبة والحذار على النفس.[١١] وكل تلك الأبيات وموضوعاتها واردة في الصفحات الماضية.[١٢] فلو أمعنت النظر إليها لعرفت أنها كانت متناثرة في موضوعات مختلفة. الأمر الّذي يستدل به على أن الاستعارة كانت متناثرة في كثير من أبيات شعر الإمام الشافعي كما مثل سابقا.[١٣]

---

[٨] أنظر، ص: ١٩.

[٩] أنظر،ص: ٢٢.

[١٠] أنظر، ص: ٣٦-٣٧.

[١١] أنظر، ص: ٣٧-٣٨.

[١٢] أنظر، ص: ١٠ و١١ و ١٢و ١٣.

[١٣] أنظر، ص: ٣٧-٣٨.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ومن بين أحوال الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي أنها كانت متنوعة منها الاستعارة التصريحية والمكنية والاستعارة التمثيلية ةالمرشحة. وليس من بعد أن يكون هذا الأمر لم يزل في ذهن القارئ لما تقدمت الإشارة إليه بقريب.[١٤]

بناء على ما تقدم أن الاستعارة كانت موجودة في أبيات شعر الإمام الشافعي وهذا لا يعني أن الاستعارة كانت موجودة في كل بيت من أبيات شعره بل أنها كانت متناثرة في كثير من هذه الأبيات ومن بين أحوالها أنها كانت متنوعة منها الاستعارة التصريحية، الاستعارة المكنية ومنها الاستعارة التمثيلية والاستعارة المرشحة.

٢. المبحث الثاني: أنواع الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي

تقدمت الإشارة في الماض إلى أن الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي كانت متنوعة منها الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية ومنها الاستعارة التمثيلية إلى جانب الاستعارة المرشحة.[١٥]

فلو أمعن الباحث في النظر إلى أبيات شعر الإمام الشافعي فإنها تبدى له استعارات شتى ولا تقتصر أنواع الاستعارة فيها على ما سبق من الاستعارة التصريحية والمكنية وهلم جرا بل تجتار إلى ما دون ذلك من الاستعارات من أمثال الاستعارة التمثيلية والاستعارة .... وغير ذلك ويكفى مثالا لذلك قول الإمام الشافعي في أبيات شعره حيث قال:

---

[١٤] أنظرما يشير إلى ذلك في صفحة: ٣٦-٣٧.

[١٥] أنظر، ص: ٣٨.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

"فالعين تنظر منها ما دنا ونأى، ولا ترى نفسها إلاّ بمرآة."[١٦]

هنا شبه ذات العين بنفس الإنسان بجامع كيان الذات في كل، ثمّ استعير اللفظ الدال على المشبة به وهو كلمة "نفس" في نفس العين للمشبة وهذا من نوع الاستعارة الأصلية باعتبار أن لفظ المشبة به من اسم جامد غير مشتق وهذا موافق لنظرية الاستعارة الأصلية وهي أن هذه الاستعارة هي ماكان اللفظ المستعار أو اللفظ الّذي جرت فيه الاستعارة إسما جامدا غير مشتق.[١٧]

وإليك مثلا آخرى إذ قال الإمام الشافعي في أهيمة طلب العلم:

"شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي، فأرشدني إلى ترك المعاصي،
وعلّمني بأن العلم نور، ونور الله لا يعطى لعاص."[١٨]

هنا شبه علم الله بنور الله بجامع إنارة السبيل المظلم في كل، ثمّ استعير لفظ المشبة به وهو "نور الله" للمشبة وهو "علم الله" وذكر مع المشبة ملائمه وهو "لا يعطى لعاص فكانت الاستعارة ص نوع الاستعارة المجردة نظرا لأن هذه الاستعارة هي الاستعارة التى ذكر معها ملائم المشبة أي المستعارله.[١٩]

هكذا ما يمكن أن يذكره الباحث في الحدث عن أنواع الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي. فإن أردت المزيد من ذلك فانظر إلى قوله في حبّ آل البيت حيث قال:

---

[١٦] أنظر، ص: ١١.

[١٧] أنظر، ص: ١٩.

[١٨] أنظر، ص: ١١.

[١٩] أنظر، ص: ٢٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

"يا آل بيت رسول الله حبكم، ....

والشّمس لو وقفت في الأفق طالعة، لملّها النّاس من عجمٍ ومن عرب."[٢٠]

في هذا البيت شبه آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم باشمس بجامع العلوّ والرفعة في كل، ثمّ استعير لفظ المشبة به للمشبه دون أن يذكر في هذه الاستعارة ما يلائم المشبة به أو ملائم المشبة فكانت الاستعارة من نوع الاستعارة المطلقة علما بأن هذه الاستعارة هي ما خلت من ملائمات المشبة به أو المشبة."[٢١]

ومما تقدم ندرك أن في أبيات شعر الإمام الشافعي استعارات مختلفة و فيها أنواع شتى من أنواع الاستعارة. ومن بين أنواعها كما ذكر سابقا الاستعارة التصريحية، والمكنية، والتمثيلية، والأصلية، والتبعية، والمرشحة، والمجردة، والمطلقة.

خروجا على ذلك هناك نوع آخر من أنواع الاستعارة في أبيات شغر الإمام الشافعي وهو الاستعارة المجردة علاوة على الاستعارة المطلقة كما تقدمت الإشارة إليه بقريب.

وخلاصة القول أن الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي كانت أنواعا شتى وهي الاستعارة التصريحية، والمكنية، والتّمثيلية، والأصلية، والتبعية، والمرشحة، والمجردة، والمطلقة فما سوى ذلك. هناك نوع آخر وهو الإستعارة المجردة علاوة على الاستعارة المطلقة.

---

[٢٠] أنظر، ص: ١٣.

[٢١] أنظر، ص: ٢٤.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٣. فوائد الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي

هناك فوائد للاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي وهي كالآتى:

١. الإيجاز والاختصار،

وإليك مثالا لذلك قول الإمام الشافعي في نصائه العامة:

"ولا ترج السّماحة من بخيلٍ، فما في النّار للظمآن ماء."[٢٢]

هذه العبارة تفيد معنى النهي عن رجاء العطاء من البخيل لأنه لا يسمح للمحتاجين، فإن السماحة ليست من صفات البخيل بل هي من صفات الكريم تشبه العطاء بالسماحة بحامع أن كلا منهما يرضى النفس ويرحه فاستعير لفظ السماحة تبينها لحالة البخيل وخلو صفاته من السماحة فكان ذلك تأكيدا للمعنى. ومن ثم كانت العبارة السابقة ((ولا ترج السّماحة من بخيلٍ)) هي عبارة موجزة مختهرة ومع ذلك فإنها تعطى الكثير من المعانى. والسبب في ذلك وجود الاستعارة السابقة ولاغرو في ذلك لأن الإستعارة تعطى الكثير من المعاني والدلالات بالقليل من الألفاظ لأنها تعد تشبيها بليغا موجزاً، جذف منه أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به)، وهذا الحذف لم يخل بالدلالة، بل يزيد دلالة الأسلوب قدراً ونبلاً.[٢٣]

[٢٢] أنظر، ص: ١٠.

[٢٣] أنظر، ص: ٢٨.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٢. المبالغة،

في الحقيقة أن ماذكر سابقا في قول الإمام الشافعي لا يقتصر على الإيجاز والاختصار في سبب إذ أن العبارة السابقة تفيدإلى جانب ذلك فائدة أخرى وهي المبالغة نظرا لما فيها من مبالغة في تناسى التشبيه. فإذا كان التشبيه يهدف إلى المبالغة في إثبات الصفات للمشبة عن طريق إلحاقه بالمشبه به وبتميزه بكمال هذه الصفات فإن الاستعارة تعد خطوة متقدمة في إثبات هذه المبالغة عن طريق تناسى التشبيه وادعاء اتحاد المشبة والمشبه به وصلاحية أحدهما للتعبر عن الآخر.[٢٤]

وهكذا اما يبدو في الشطر الثاني من عبارة قوله "فما في النار للظمآن ماء" **حيث شبه فيها البخيل بالنار بجامع أن كلا منهما يحرم الماء للظمآن فاستعير لفظ المشبه به وهو ((النار)) للمشبه وهو ((البخيل))حتى تكون الاستعارة أبلغ من التشبيه في أثبات حال المشبه وصفته ولا غرو لأن التشبيه إذا كان يهدف إلى المبالغة في إثبات الصفات للمشبة فإن الاستعارة تعد خطوة سبق التشبيه في إثبات هذا المبالغة عن طريق تناسى التشبيه وادعاء اتحاد المشبة والمشبه به وغير ذلك كما تقدمت الاستعارة إليه بقريب.** [٢٥]

٣. التجسيم،

[٢٤] أنظر، ص: ٢٨.

[٢٥] أنظر، ص: ٢٨.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

تعد الاستعارة أكثر ألوان البلاغة تصويرا للمعاني المجردة، وإبرازاها عن طريق التجسيم في صورة حسية مشاهدة وملموسة، وفي هذا مبالغة في تقدير المعاني وتضخيمها بتصويرها في هيئة تدرك وتشاهد وتعاين. و يبدو قول الإمام الشافعي إذ قال في بيت من أبيات شعره:

"فالعين تنظر منها ما دنا ونأى، ولا ترى نفسها إلاّ بمرآة."[٢٦]

هنا شبه العقل (عقل الإنسان) بالعين بجامع أن كلا منهما تنظرو ترى مادنا ونأى فاستعير لفظ العين للعقل لغرض التجسيم. وكذلك الجال بالنسبة لقوله ((ولا ترى نفسها إلا بمرآة)) فشبه نظير العقل بالمرآة بجامع أن كلا منهما تنظر كذلك وترى فاستعير لفظ المرآة لنظير العقل والغرض من ذلك فعلا التجسيم. وفي هذا مبالغة في تقدير المعانى وتضخيمهما بتصويرها في هيئة تدرك وتشاهد وتعاين.[٢٧]

٤. التشخيص،

من خصائص الاستعارة أنها قادرة على بث الحياة في الجمادات والمعنويات، وتصويرها في هيئة أشخاص تتحرك وتتكلم وتحس، كقول الإمام الشافعي في البيتين من أبيات شعره:

"كيف الوصول إلى سعاد ودونها، قلل الجبال ودونهنّ حتوف،

الرّجل حافية لي مركب، والكفّ صفر والطريق مخوف."[٢٨]

---

[٢٦] أنظر، ص: ١١.

[٢٧] أنظر، ص: ٢٩.

[٢٨] أنظر، ص: ١١.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

استعير لفظ حافية، وصفر، للطريق الخوف، وقد حققت هذه الاستعارة الإيجاز والبيان والمبالغة في تصوير هول الوادي، وتشخيصها في صورة تنخلع القلوب من هولها شهيقة بصورة مخلوق حتوف مخوف، مكفهر الوجه.[٢٩]

على كل حال أن الإستعارة أوضح وأكد وآثر وأنس وأوقع. لأن الكلمة أو الجملة الّتي استعارها المخاطب كانت أوضح وأكد وآثر وأوقع وأنس وهي من فوائد الاستعارة في أبيات شعر الإمام الشافعي.

ومن البيانت السابقة ندركفوائد الاستعارة في أبيات شعر الامام الشافعي والظاهر أن فوائد الاستعارة في هذا الصدد كانت مختلفة ومن بينها الإيجاز والاختصار والمبالغة ثم التجسيم والتخيص.

[٢٩] أنظر، ص: ٣٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id